



-١-

أعرف ثلاثة من شباب النصرة هم كالذهب الخالص، من أصدق من عرفت من المجاهدين وأكثراهم إخلاصاً فيما أحسب، والله حسيبهم، تعرفت عليهم بسبب كتاباتي عن الجبهة وانتقاداتي المتكررة لها، فقد ردوا عليّ وناقشوني كما ردّ وناقش غيرُهم، إلا أنهم من الفئة الأولى التي أحبها، الذين ينتقدون بحق ويجادلون بأدب، فأردد على كلامهم العاقل بكلام عاقل. الفئة الثانية هم المراوئون الذين يجادلون بلا عقل، أخاطبهم من الشرق فيردون من الجنوب، وهؤلاء أعرض عنهم ولا أضيع وقتى معهم. أما أصحاب الفئة الثالثة فإني أحظرهم على الفور، وهم السفهاء الذين لم يهذبُهم الدين ولم يربِّهم الوالدون في طفولتهم والمعلمون أيام الطلب، فلا خير يُرجى منهم لا في دنيا ولا في دين.

هؤلاء المجاهدون الصالحون ناقشوني فيما كتبت وناقشتهم، ولمست عند كثريين منهم إخلاصاً وإنصافاً حبيباً إلى قلبي وشجعني على التواصل معهم. ولا شك أنني لم أقنعهم في كل ما قلت ولم يقنعني في كل ما قالوا، ولكنني استفدت منهم وأرجو أن يكونوا قد استفادوا مني.

ولأنني تصورتهم كأولادِي الذين أحبهم وأرجو لهم الخير والصلاح في الدارَين فقد كنت أكتفي بوعد وعهد آخذه منهم، سواء اقتنعوا بكل ما أقوله لهم أم لم يفعلوا: أن لا يتهوروا في هاوية التكبير التي تفتح باب الشر الكبير وتقودهم إلى قتل أهل القبلة من المسلمين، وأن لا يستجيبوا لأمرائهم لو دفعوهم إلى قتال أي فصيل ثوري، إلا إذا ثبت بغية أو فساده وتعينَ قتاله بحكم قضائي يصدر عن جهة مستقلة محايدة، وليس عن قيادة النصرة نفسها، لأن القاضي والجلاد لا يجتمعان في كيان واحد إلا في أعراف الطغاة والمستبدرين.

عدد من هؤلاء الأحبة الأفضل ألحوا عليّ مؤخراً بسؤال، أو طلب، قالوا: إنك ما تزال تنتقد تجاوزات النصرة وأخطاءها حتى ليراك الغريبُ خصماً لها وعدواً من آل الأداء، ولكنك تناقشتنا فنلمس عندك غيرة عليها وحرصاً على تصويب مسارها وتصحيح أخطائها، فهلاً تركت النقد المتفرق وكتبت مقالة جامعة فيما تأخذه على النصرة وما ترجوه منها؟

قلت: آن الأوان؛ أفعل إن شاء الله. وهذا هو تحقيق الوعد، على أن تحملني جبهة النصرة وتحتملي مجاهدوها وأنصارها،

فإنني لم آلف لغة السياسة والدبلوماسية التي تزيّن القبيح وترفع الطريح، وما كنت لأجامِل في مصلحة الأمة صغيراً ولا كبيراً ولا فرداً ولا جماعة. واحتملوا أيضاً طول هذه المقالة، فإنني لن أُنصف إذا اختصرت ولن أحقر المراد بكلمات. على أنني سأقسمها إلى أقسام فأنشرها مجزأة متفرقة حتى يسهل ابتلاعها على الآكلين.

أختم هذه المقدمة بكلمة أوجّهها لنفسي وللقراء الكرام: هذه السلسلة ستكون اختباراً حقيقياً للطرفين، لي وأنا أكتبها، ولمجاهدي النصرة وأنصارها وهم يقرؤونها. فإن أخطاء فليردوا على خطئي، حجّة بحجّة وفكرة بحقيقة وحقيقة بحقيقة، وإن أصبحت فليعودوا إلى الحق ولا يتعرّضوا للباطل حميّةً وعصبيّةً، فإنما هي من بقايا الجاهلية التي ذمّها الإسلام.

-2-

سأجيب -في هذه الحلقة والتي بعدها- عن بعض الأسئلة التي وردتني فُرادى في أوقات مختلفة وأجبتُ أصحابها في مراسلات خاصة، وهي توضح موقفي من جبهة النصرة على العموم، وبعد الفراغ منها سأنتقل إلى الجزء الأهم، فأكتب ما أخذته على جبهة النصرة وما أرجوه منها بالتفصيل، وسيكون ذلك هو لب هذه الحلقات وهو ما أشتأنُها أصلاً من أجله.

سؤالني: هل تصنّف جبهة النصرة عدواً من أعداء الثورة؟ قلت: معاذ الله، بل هي منا ونحن منها، ولو رأيتها عدواً لصرحت كما صرحتُ بعداوة داعش منذ دهر. إنني لم أخشَ داعش ولم أجاملها قط، فلماذا أخشى النصرة وأجامِلها وأزعم فيها ما لا أراه فيها؟

قالوا: هل تجيز للفصائل قتال النصرة أو تدعوه إليه؟ قلت: معاذ الله، إنني إذن لشريك في الدم الحرام. ولعل بعض الفصائل يتوقفُ تمويلها وتسلیحها على رضاها بقتال النصرة، فأقول لها: إياكم أن يجرّكم إلى قتال المسلمين أيّ كان، ولو كان الثمن مال الدنيا كلها، ولو قطعوا عنكم السلاح وخرجتم من الميدان فإنه خير من توجيه السلاح إلى صدور المسلمين.

قالوا: لكنك اتخذت موقفاً صارماً في الحالات التي قاتلت فيها النصرة غيرها من الفصائل ودعوتَ إلى التدخل ورددتها ولو بالقول؟ قلت: نعم، فعلت، وسأفعل كلما تكررت أمثلُ هذه الحوادث، سواء أكانت النصرة طرفاً فيها أم كان غيرها من الفصائل هو الطرف، فالقاعدة التي قررها الشرع (وليس أحدُ من الخلق، لا أنا ولا غيري) أنَّ الباقي يُقاتل لرد بغيه وأنَّ المعادي يُدفع عدوانيه ولو كان الثمنُ موتَ أحد الطرفين، ودللت النصوص المحكمة القطعية الدلالة والثبوت على أنَّ المدافع عن حقه إذا مات فهو شهيد، وأنَّ المعادي إذا مات فهو في النار.

قالوا: لكن كيف تحكم على أي من الطرفين بالبغي ولعله ينتقم لنفسه أو يأخذ حقه؟ قلت: لدينا في سوريا هيئات ومحاكم شرعية مستقلة، فمن كان له حق فليتحاكم إليها ويأخذ حقه عن طريقها، أما أن يصبح الفصيل القويّ هو القاضي وهو الجلاد فإنه بغيٌ وعدوان لا يقبله عقل ولا شرع ولا قانون، ولو أبحنا ذلك السلوك لكل فصيل لصارت سوريا غابة من الوحوش.

قالوا: هل تدعوه إلى خروج النصرة من الميدان؟ قلت: لن أدعوه إلى خروج أي فصيل يقاتل النظام من الميدان، لا النصرة ولا غيرها، ما لم يصبح وجودُه أكثرَ ضرراً من عدمه. الثورة فيها فصائل كثيرةٌ يختلط خيرُها بشرّها، فنحن نتحمّلها ونشتّبّ بها ما غالبُ الخيرُ الشرّ، فإذا زاد الضّرُّ الذي يصدر عنها على الخير الذي يُرجى منها صار إخراجُها من الميدان واجباً يفرضه العقل والشرع.

من أجل ذلك أضغط على النصرة وأستمر في نقدها النقد المُرّ، لأنني أدفع يوماً أخشاها وأرجو صادقاً أن لا تبلغ، يوماً يصبح ضررها عظيماً وضربيتها ثقيلةً بحيث تفوق قدرة سوريا وثورتها على الاحتمال. لو بلغت جبهة النصرة هذا المبلغ ستقرؤون دعوة صريحة أطالبها فيها بالخروج من الميدان، فلا يعتن أحدٌ عليّ لو فعلت إذا فعلت بحق، بل العتب على النصرة إذا سمحت بالوصول إلى تلك النهاية الحزينة.

الزلزال السوري

المصادر: